المحاضرة التاسعة

الفصل والوصل

هذا الموضوع يعنى بالعلم بمواقع الجمل، وإدراك مواضع استعمال حروف العطف أو عدم استعمالها، وهو موضوع صعب المسلك، عظيم الخطر، لا يوفَّق فيه إلا من أوتي حظا من المعرفة بأسرار اللغة ومحاسنها، وطُبع على ذوق في البلاغة وحسن البيان، إلا أنه غزير الفائدة، لدرجة أن بعض العلماء حصر مفهوم البلاغة فيه، فقال حين سئل عنها: (هي معرفة الفصل والوصل).

والوصل هو العطف بالواو لجملة على أخرى، والفصل هو ترك هذا العطف [1]، وتخصيص الواو لأن العطف بها يحتاج «إلى لطف في الفهم، ودقة في الإدراك، إذ لا تفيد إلا مجرد الربط وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم ـ بخلاف العطف بغيرها فيفيد مع التشريك معاني أخرى»[2]، وشرط العطف أن يكون بين المعطوفين جامع، فلا نقول مثلا: خليل قادم، وسعيد قصير.

مواضع الوصل: يجب الوصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع[3]:

ـ إذا كانت الجملتان متحدتيْن في الخبر والإنشاء، لفظا ومعنى، أو معنى فقط، كقوله تعالى: (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم)، فهما متحدتان في الخبر لفظا ومعنى، وكقوله: (وكلوا واشربوا)، فهما متحدتان في الإنشاء لفظا ومعنى، وكقوله: (إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون)، فالأولى خبرية، والثانية إنشائية لفظا خبرية معنى، وتقديرها: وأشهدكم، وكقولنا: اذهب إلى فلان وتقول له كذا، فالأولى إنشائية، والثانية خبرية لفظا لكنها إنشائية معنى، وتقديرها: اذهب إلى فلان وقل له كذا.

ـ إذا اختلفت الجملتان خبرا وإنشاءً، وأوهم الفصل خلاف المقصود، ومثاله: لا وشفاه الله، جوابا عن سؤال: هل برئ فلان من مرضه؟، فالجملة بعد (لا) خبرية محذوفة، وجملة (شفاه الله) خبرية لفظا إنشائية معنى، وترك الواو في الجواب يوهم السامع الدعاء على المريض لا الدعاء له، لذا وجب الوصل، والجملتان لا محل لهما من الإعراب.

ـ إذا قصد إشراك الجملتين في المحل الإعرابي، أي إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب وقُصد تشريك الثانية لها في الإعراب حيث لا مانع، كقول المتنبي: وللسّرّ مني موضع لا يناله/ نديم ولا يفضي إليه شراب، فكلا الجملتين (لا يناله، لا يفضي) في محل رفع نعت، ولذا تم الوصل بينهما.

---

[1] يُنظر: علوم البلاغة، ص347.
[2] جواهر البلاغة، ص180.
[3] يُنظر: علوم البلاغة، ص347 وما بعدها.

كما يُستحسن أن تُعطف الاسمية على الاسمية، والفعلية على الفعلية، إنْ ماضوية وإنْ مضارعية، ولا يُعدل عن ذلك إلا لأغراض، ككحكاية الحال الماضية واستحضار الصورة الغريبة في الذهن في قوله تعالى: (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) و(ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)، وهكذا[1].

مواضع الفصل: يقع في خمسة مواضع[2]:

ـ كمال الاتصال: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوي، فتكون الثانية إما توكيدا للأولى، كقوله تعالى: (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا)، وإما بدلا منها، كقوله تعالى: (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين)، وإما بيانا لها، كقوله تعالى: (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم)

ـ كمال الانقطاع: أن يكون بين الجملتين تباين تام، كأن تكون إحداهما خبرية والأخرى إنشائية، ومثاله: (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)، أوتكونا مختلفتين معنى من حيث الخبر والإنشاء، نحو: نجح خالد وفقه الله، فالثانية إنشائية معنى، أو لا يكون بين الجملتين مناسبة ولا ارتباط في المعنى، ومثاله: وإنما المرء بأصغريه/ كل امرئ رهن بما لديه

ـ شبه كمال الاتصال: هو أن تكون الجملة الثانية شديدة الارتباط بالأولى، بمثابة جواب عن سؤال تضمنته الأولى، كقوله تعالى: (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء)، كأن الثانية جواب عن سؤال: هل النفس أمارة بالسوء؟، وكقول الشاعر: زعم العواذل أنني في غمرة/ صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي، فجملة (صدقوا) كأنها جواب عن سؤال: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا؟

ـ شبه كمال الانقطاع: هو أن تكون الجملة مسبوقة بجملتين يصح عطفها على الأولى منهما لوجود المناسبة، لكن في عطفها على الثانية فساد في المعنى، فيترك العطف دفعا لتوهم العطف على الثانية، كقول الشاعر: وتظن سلمى أنني أبغي بها/ بدلا أراها في الضلال تهيم، فجملة (أراها) يصح عطفها على (تظن)، لكن لا يصح عطفها على (أبغي) حتى لا تكون (أراها) من مظنونات سلمى، فيمتنع العطف لأجل ذلك.

ـ التوسط بين الكمالين: هو أن تكون رابطة قوية بين جملتين متناسبتين، لكن يمنع من الوصل عدم قصد التشريك في الحكم، كقوله تعالى: (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم)، فجملة (الله يستهزئ بهم) فصلت عن (إنا معكم)، حتى لا تدخل معها في الحكم الإعرابي.

تطبيق: بين مواضع الفصل والوصل فيما يأتي واذكر السبب:

---

[1] يُنظر: جواهر البلاغة، ص182.

[2] يُنظر: علوم البلاغة، ص352 وما بعدها.

ـ (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) (فصل: كمال الاتصال: بيان)

ـ (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) (وصل: متحدتان في كونهما إنشائيتين لفظا ومعنى)

ـ (اشكر الله على السراء ينجيك من الضراء) (فصل: كمال الانقطاع: الأولى إنشائية لفظا ومعنى والثانية عكسها)

ـ (اصبر على كيد الحسود لا تضجر من مكائده) (فصل: كمال الاتصال: تأكيد)

ـ (ديارهم انتزعناها انتزاعا/ وأرضهم اغتصبناها اغتصابا) (وصل: متحدتان خبرا ومتناسبتان في المعنى)

ـ (أنت حميد الخصال، تصنع المعروف وتغيث الملهوف) (فصل: كمال الاتصال: بيان)

ـ (اخط مع الدهر إذا ما خطا/ واجر مع الدهر كما يجري) (وصل: متفقتان إنشاءً مع وجود المناسبة وعدم المانع)

ـ (لا تدعه إن كنت تنصف نائبا/ هو في الحقيقة نائم لا نائب) (فصل: كمال انقطاع، مختلفتان خبرا وإنشاء)

ـ (وترى الجبال تحسبها جامدة) (فصل: كمال اتصال: الثانية بدل اشتمال من الأولى)

ـ (يرى البخيل سبيل المال واحدة/ إن الكريم يرى في ماله سبلا) (فصل: شبه كمال انقطاع: الثانية جواب عن سؤال تتضمنه الأولى تقديره: فما حال الكريم؟)

ـ (يدبر الأمر يفصل الآيات) (فصل: كمال اتصال: بدل بعض من كل)

ـ (فليتك تحلو والحياة مريرة/ وليتك ترضى والأنام غضاب) (وصل: متحدتان إنشاء ومتناسبتان في المعنى)

ـ (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (فصل: كمال اتصال: توكيد معنوي)

ـ (قالوا سلاما قال سلام) (فصل: شبه كمال اتصال: الثانية جواب عن سؤال تتضمنه الأولى، تقديره: فماذا قال لهم؟)

ـ (لا وحفظك الله، كجواب عن سؤال: ألك حاجة أقضيها؟) (وصل: جملتان مختلفتان خبرا وإنشاء، فكان ذلك يقتضي الفصل، لكن الفصل يوهم خلاف المقصود، فوجب الوصل)

ـ (وما الدهر إلا من رواة قصائدي/ إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا) (فصل: اتحاد تام في المعنى ـ كمال اتصال ـ الثانية توكيد للأولى)

ـ (كفى زاجرا للمرء أيام دهره/ تروح له بالواعظات وتغتدي) (فصل: اتحاد تام في المعنى ـ كمال اتصال ـ الثانية بيان للأولى)

ـ (لست مستمطرا لقبرك غيثا/ كيف يظما وقد تضمن بحرا) (فصل: كمال انقطاع، تباين تام من حيث الخبر والإنشاء)

ـ (السماء ممطرة، علي يغدو إلى عمله مبكرا) (فصل: كمال انقطاع، عدم وجود المناسبة)

ـ (أنت أيقظتني وأطلعت عيني) (وصل: قُصد تشريك الجملة في الحكم الإعرابي)